الأدب التفاعلي:
الاضطراب المصطلحي وإشكاليّة التلقي في الثّقافة العربيّة

ط/د. راضية شافعي
جامعة خنشلة

ملخَّص:

أفرزت الحداثة الغربية والعولمة المعاصرة ثقافة تقنية لا تعترف بالحواجز، وتسعى إلى تحويل العالم إلى قرية ثقافية واحدة، ثقافة مسلحة "بوسائل وفعاليات قادرة على اختراق الغرف المغلقة والأصقاع البعيدة، ولا تصدها الحدود أو تقف جدران الحماية في وجهها".

ونظراً للتحوّلات السّريعة الّتي نحياها اليوم في ظل الثورة التكنولوجية والاتصالية، ثورة مِنْ أحدث الثورات المعرفية الكبرى بعد الشفاهية والكتابية والصناعية التي أفرزت لنا مختلف الوسائل الاتصالية والتواصلية، والّتي ساهمت في ميلاد معارف تكنولوجية ومعالم إبداعها: الأدب التفاعلي والّذي يمثّل معطى مِنْ معطيات تلك الثورة.

وعليه تسعى هذه الدراسة في المقام الأول إلى الوقوف عند هذا الجنس الأدبي الجديد، الّذي تخلّق في رحم التقنية و"يجمع بين الأدبية والإلكترونية، ولا يمكن أن يتأتى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني، أي من خلال الشاشة الزرقاء" وعَنْ "ما أفرزه التعالق بين الفعل الأدبي والمعطى التكنولوجي من مفاهيم جديدة للقارئ الحالي أو القارئ الحاضر في بيئة تكنولوجية بصرية".

وتتناول بالبحث علاقة الثقافة العربية بهذا الجنس الأدبي الجديد، بدءاً - كما سبق وأنْ ذكرنا - بظاهرة الاضطراب المصطلحي، وإشكاليّة التّلقي في الثّقافة العربيّة وذلك بالتّعرض للتحوُّل الذي "طال المنظومة الإبداعية باقتحام الحاسوب الإبداع الأدبي الذي أعاد تشكيل نظامها العلائقي من تركيبها الثلاثي؛ (كاتب، نص، قارئ) إلى تركيب رباعي، (كاتب، حاسوب، نص، قارئ)"، إضافةً إلى محاولة طرح جملة منَ الإشكاليات أهمّها: - هل تفاعلت الثقافة العربية مع الأدب التفاعلي الّذي انبجس من خلال التزاوج بين الإبداع الأدبي والحاسوب؟ - وَهَل يَحِقُّ لنا أنْ ننتقد ما لم نمارس أمْ أنّ مفاهيمنا غير قادرة على منافسة مفاهيم الثقافة الوافدة إلينا منَ الآخر؟.. هذا ما سوف نوضحه في هذه الورقة البحثيّة.

الكلمات المفاتيح: الأدب التفاعلي، الاضطراب المصطلحي، التّلقي في الثّقافة العربيّة،...

Abstract:

Western modernity along with globalization have given birth to a technical culture, one that doesn't know barriers and tends to transform the world into one big village with a culture armed with "means and functionalities that are capable of crossing closed doors and reaching remote places ; a culture that cannot be stopped neither by frontiers nor by protective walls"

We live in a fast-moving world that has come to see an unprecedented technological and communicational revolution after the writing and the industrial revolutions that gave us numerous means of communication; it has contributed to the emergence of a new technological knowledge and new streams of creativity: interactive literature is one of the juicy fruits of this revolution.

The aim of this study would be, for starter, to understand this new genre of literature "that joins literariness and electronics, and which one cannot have access to without an electronic medium, i.e., the screen". We will also focus on what this marriage between technology and literature has given birth to in terms of new notions and concepts and the way today's reader is supposed to

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

deal with in a visual technological environment". We will try to understand the relationship that holds between the Arab culture and this new literary genre: starting with the chaos of terminology and the problem of reception in the Arab culture which has to deal with this transformation that "invaded the scene of art through the introduction of the computer in the literary creation, hence modifying its relational system from three elements (writer, text, reader) to four (writer, computer, text, reader). Further, we will discuss a couple of questions among which the most important are: - Did the Arab culture interact with the interactive literature? - Do we have the right to criticize what we haven't practiced, or are our notions unable to compete with the notions that come to us from the Other?

We will try to discuss and explain these issues in this paper.

Keywords: Interactive literature, The term, Receive in Arab culture,…

1. تمهيد:

نهايات أم بدايات عِبارة استعملها الباحث "نبيل علي" في مُؤَلَّفِه "الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي" حيث يرى أنّ <<نهايات عصر المعلومات يمكن النظر إليه، من الطرف النقيض، على أنه إعلان لبدايات جديدة.فتكنولوجيا المعلومات، ما أن تغلق بابا حتى تفتح آخر أكثر رحابة واتساعا>>1 مُفَسِّراً ذلك بالقول <<لما تتيحه من بدائل عديدة لإعادة تشكيل المفاهيم، وإعادة صياغة العلاقات، وإعادة بناء النظم والمنظمات>>2 ومِنْ ثَمَّةَ فإنّ <<التقدم التقني والمعلوماتي في الاتصال والارتباط كانت معجزة هذا العصر الذي طرحها مبتكروها كمرحلة انتقال حاسمة في حياة البشرية.حيث استطاعت هذه التقنية أن ترفع الحواجز وتقرب المسافات إلى حد جعل العالم قرية صغيرة تمتد بشبكة معقدة من الاتصالات.وهذه التقنية قد ولدت وتولد مفاهيم جديدة باعتبار أنها قد قاربت بين البشر والأمم إلى حد التفاعل الشديد والسريع بحيث خلقت حالة تداخل شديدة بين الأفكار والثقافات وما ينتج عنها إما الصراع والاصطدام أو الذوبان والانصهار، ففي هذا العالم الجديد ليس هناك مجال لإقامة أسوار العزلة الحديدية لحماية مجتمعاتنا بل أصبح الاندماج الحضاري والتداخل الإنساني إلى حد لا يتصور>>3 ومنْ ثمّ تغلغلت معطيات عصر المعلوماتية والتكنولوجيا في كل جزئية من جزئيات الحياة وأضحت اللغة الواحدة لألسن شعوب العالم، ما جعلنا نعيش <<عصرا جديدا بكل حمولاته المعرفيّة والثقافية المعقدة عصر التقنيات التكنولوجيّة [وإنْ] تختلف المواصفات المميزة لنتاج عصر حداثة الأنفوميديا الذي تكون حاضنته الوسائط التفاعليّة التكنولوجية والتقنيّات الحاسوبيّة>>4 إنّه عصر تكنولوجيا المعلومات <<عصر متعدّد اللغات والمجالات، متراكب الأنظمة والمستويات.إذ هو متسارع بقدر ما هو الكتروني، وهو رقمي بقدر ما هو تقني.واخيراً وخاصةً فهو كوكبي لأنه يُصدّع الحواجز بين الدول والمجتمعات، بقدر ما يفتح الحدود بين البشر، ليس فقط الاقتصادية والمالية، بل ايضاً المعرفية والرمزية والخُلقية والامنية، الامر الذي يُحوّل الكرة الارضية إلى سوق مالية واحدة والى قرية اعلامية مشتركة، بل إلى مجال امني واحد>>5.

لذلك فإنّ <<حقيقة قيام الأمم وقدرتها على النهوض يعتمد أساسا على مدى قدرتها على إيجاد التغييرات اللازمة لتطوير حركتها التصاعدية، وعلى نوعية استجابتها للتغييرات الخارجية التي تهب عليها من جهات أخرى، لذلك فان الأمم التي لا تستجيب للتغيير تحكم على نفسها بالموت، فانحطاط اغلب الحضارات وانقراضها يبدأ عندما تعجز عن فهم بأنه يجب أن تغير من واقعها استجابة للمستجدات التي واكبت الحركة البشرية المتصاعدة>>6 وعلى ذكر التغييرات / ونوعية الاستجابة تكون التكنولوجيا كمُستجدٍّ واكب الحركة البشرية قد نجح في تجاوز المسافات وحدود المكان. و<<البحث عن هذه التحولات التقنية المثيرة ليس لكونها أشكالا حديثة لصالح البشر وزيادة رفاهيتهم من خلالها، وإنما لما ستفرزه من تحولات نفسية وثقافية واجتماعية وسلوكية حيث تنطلق من الأشكال التقنية الجديدة أنماطا بشرية في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السلوك والفكر، لذلك فان هذه الإفرازات لا بد أن تلقي بظلالها على المجتمع لتفرض ثقافتها وقيمها وأخلاقياتها الجديدة علينا وهذا سيشكل [...] تحديا>>7.

2. فوضى المصطلح: الأدب التفاعلي/النّص المترابط

نروم مِنْ خِلال التَّعرُّضِ لإشكاليّة المصطلح إبراز تَعدُّد المقابلات العربية لِكلٍّ مِنْ مصطلح الأدب التفاعلي/النّص المترابط والّذي أفْضَى إلى الاضطراب المصطلحي، ولا شكّ في أنّ القارئ الّذي تابع إشكاليّة المصطلح بقليلٍ منَ الاهتمام قد أدرك أنّ هذا التّعدّد سيحيلنا إلى التيه وسط فوضى مصطلحيّة خلّفها الاشتغال على الحداثة و ما بعدها.

إذا <<كان [...] النظر إلى حديث النهايات من الطرف النقيض على أنّه إعلان للبدايات فإنّ موت الأدب سيفسح المجال لميلاد أدب بديل على رأي أكثر المتفائلين الذين يرون أن نظاماً أدبياً يقوم حيّاً مثل العنقاء من رماد الماضي>>8 ف <<موت الأدب إذاً هو نهاية شكل من أشكال الأدب ليولد شكل جديد يكون نتاجاً طبيعياً لمنطق التحول المعرفي الذي تشهده الثقافة الغربية، من سلطة العقل الأداتي إلى سلطة العقل الرقمي أو من مرحلة حداثة الصناعة (الإنتاج المادي الثقيل) إلى حداثة ما بعد الصناعة (الإنتاج الأثيري الناعم) >>9 أو لِنَقُل نهاية الحداثة الأداتية وميلاد الحداثة الناعمة/الفائقة ممَّا يعني أنّ <<حديث الموت والنهاية مرهون بحنين الميلاد والبداية>>10 وعليه من الطبيعي أن تعلن <<نهاية الأدب la fin de la littérature بعدما أعلن مفكّرو ما بعد الحداثة post modernité؛ "نيتشه"، "فوكو"، "بارت"، موت الإله وموت الإنسان وموت المؤلّف>>11.

هذا الجنس الأدبي الجديد يصطلح عليه الإبداع التفاعلي أو الأدب التفاعلي، هذا الأخير الّذي يعدّ واحداً منَ المقابلات العربية [الأدب التكنولوجي، الأدب التكنو أدبي، الأدب الإلكتروني، أدب النص المترابط، الأدب الرقمي، الأدب الشبكي،...] مصطلحات <<ليست واضحة المعالم عند المشتغلين على هذا الجنس الأدبي الجديد [...]، ولولا جهود الباحثة الأردنية "فاطمة البريكي" في كتابها "مدخل إلى الأدب التفاعلي" لبقيت هذه المقابلات العربية رهينة الاضطراب وعدم التحديد، ومطيّة للعنف الرمزي والنفي المتبادل كما حدث بين الباحث المصري "سعيد الوكيل" والروائي الأردني "محمّد سناجلة">>12 ولعله منَ الطبيعي أنْ يتعرّض هذا المصطلح للتّعدديّة والاضطراب الّتي تُرافق كلّ جديدٍ في الساحة الأدبية من الأشكال والأجناس الأدبية.

ويبدو لمن تعرّض لهذه المصطلحات المتباينة أنّ <<المصطلحات الرئيسة الفاعلة في هذا الجنس الأدبي في نسبة غير قليلة منها مستوردة من علوم تقنيّة أخرى كالحاسوب والهندسة أو فنون أخرى كالرسم والموسيقى والنحت، وهذا يرجع إلى طبيعتها التفاعلية، لأنّ مما يميزها انفتاحها على العلوم التقنية الحديثة كالهندسة والحاسبات والرياضيات والفلك وغيرها، بما بدت غير قليل من مصطلحاتها صادرة في جوهرها عن تلك العلوم لصدورها عن الوعي التقني العلمي أكثر من فنية النوع الأدبي الشعري، وإن كان نسغا فيها فاعلا>>13

يمثل الأدب التفاعلي Interactive Literature كما عرّفه "أمجد حميد عبد الله" <<الأدب الذي يوظّف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد يجمع بين الأدبية والإلكترونية ولا يمكن أن يتأتى لمتلقيه إلّا عبر الوسيط الإلكتروني أي من خلال الشاشة الزرقاء، ولا يكون هذا الأدب تفاعليا إلّا إذا أعطى المتلقي مساحة تعادل أو تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنص>>14 ويعرّف "ياسر منجي" الأدب التفاعلي أو الرقمي أو التكنو أدبي بأنّه <<النص الذي يستعين بالوسيط الإلكتروني وفضائه المعلوماتي - الإنترنت - لتوصيل الأدب وصياغته النصيّة>>15

المنارة للاستشارات www.manaraa.com

وتعرّفه "فاطمة البريكي" بأنّه <<الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة، خصوصا المعطيات التي يتيحها نظام النص المتفرع Hypertext، في تقديم جنس أدبي جديد، يجمع بين الأدبية والإلكترونية.ولا يمكن لهذا النوع من الكتابة الأدبية أن يتأتى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني، أي من خلال الشاشة الزرقاء، ويكتسب هذا النوع من الكتابة صفة التفاعلية بناء على المساحة التي يمنحها المتلقي، والتي يجب أن تعادل، وربما تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنص، مما يعني قدرة المتلقي على التفاعل مع النص بأي صورة من صور التفاعل الممكنة>>16 وفي تمييزها بين المصطلحات التي شاعت بتوظيف جهاز الحاسوب تضع "فاطمة البريكي" أيضاً تعريفاً لمصطلح الأدب الرقمي حيث تقول <<هو الأدب الذي يُقَدم على شاشة الحاسوب التي تعتمد الصيغة الرقمية الثنائية (1/0) في التعامل مع النصوص أيا كانت طبيعتها>>17 ويُسمّى أدبا رقميا كل<<شكل سردي أو شعري يستعمل الجهاز المعلوماتي وسيطا ويوظف واحدة أو أكثر من خصائص هذا الوسيط>>18

أمّا "سعيد يقطين" فيعرّف الأدب التفاعلي بأنّه <<مجموع الإبداعات (والأدب من أبرزها) التي تولدت مع توظيف الحاسوب، و لم تكن موجودة قبل ذلك، أو تطورت من أشكال قديمة، ولكنها اتخذت مع الحاسوب صورا جديدة في الإنتاج والتلقي>> 19 وانسجاماً مع هذا الطّرح ما قاله "تزفيتان تودوروف" أنّ <<الجنس الجديد هو دائماً تحويل لجنس أو أجناس أدبية أخرى قديمة عن طريق القلب والزخرفة و التوليف>> 20 وهذا يستدعي الحديث عنِ العولمة الّتي تَقسِّم العالم إلى قسمين <<عالم تمثله المجتمعات التقليدية، وتقوم العولمة بوضع التقنيات الحديثة والاتصالات تحت تصرفه، فيقوم من خلالها بإعادة إنتاج الأفكار التقليدية الموروثة دون أنْ يتمكن من الانخراط في تحديث نفسه على مستوى إنتاج المعرفة العلمية - العقلية التي يشترطها كل تحديث مهما كانت سياقاته الثقافية، وعالم آخر أنجز رهان الحداثة وهضمها، وتمثّله المجتمعات الحديثة، وفيه تقوم العولمة بتحديث المعرفة وتجديدها بشكل مطّرد>>21 ومنْ ثمة هناك فرق شاسع بين <<إعادة إنتاج معرفة تقليدية بوسائل حديثة، وإنتاج معرفة جديدة بوسائل حديثة>>22

الأدب التفاعلي الرقمي <<جنس أدبي [...] يزاوج بين الأدب والتكنولوجيا [...] تتسع دائرته لتشمل أنواع الأدب المختلفة من شعر ومسرح وقصّة ورواية ومقالة، من خلال استعانة هذا الجنس الجديد بالإمكانات التقنية التي تتيحها التكنولوجيا لتقديم نص مختلف الوسيط يقوم على أساس تفاعل المتلقي ومشاركته، ليكون شاعرا مع القصيدة الرقميّة وليكون روائيا مع الرواية الرقميّة ويكون قاصا مع القصّة الرقميّة وهكذا مع بقية مجالات الإبداع الفنية الرقمية الأخرى>>23 والأدب التفاعلي هو الّذي <<يعتمد على الحالة التفاعلية القائمة بين العناصر الثلاثة الرئيسية المكونة للعملية الإبداعية (المبدع - النص - المتلقي) والتي تترك لمتلقي النص مساحة لا تقل عن مساحة مبدعه ليسهم من خلالها في بناء معنى النص الذي لا يكون نهائيا، ولا مكتملا، إنما في حالة حركة وتجدد وإنماء دائمة>>24 وهو - الأدب التفاعلي- <<مصطلح ابتكره "إيسن أنارسيث" وعرض نظريته في كتاب "النص الشبكي: آفاق الأدب التفاعلي">>25 ويتم الحديث عنه <<عندما يراد التأكيد على الاشتغال النوعي للقراءة التفاعلية>>26

يشير تعبير (الأدب الشبكي) إلى <<الأعمال المنشورة في شبكة الأنترنت وإلى مفهوم الشبكة.إلا أن هذا المصطلح [...] يُقصي كليا سائر الأعمال الموجودة حاليا خارج الشبكة (الأقراص المُدمَجة) وعددا من التجهيزات، كما أنه يميل إلى استبعاد كل الأعمال السابقة على ظهور شبكة الإنترنت، ما يفضي إلى إقصاء أعمال كثيرة هامة لأن الكتّاب لم يستثمروا الويب إلا منذ وقت قريب (حوالي عام 1996 في فرنسا>>27 ونجد أيضا <<مصطلح (الأدب الإلكتروني) [...] أو (الشعر الإلكتروني) [...] وتستعمل كثيرا لتسمية الشعر الرقمي.[وهو] المصطلح [...] الأقدم في

المنارة للاستشارات www.manaraa.com

فرنسا، حيث كان شائع الاستخدام في سنوات 1980 - 1990، ويؤكد أكثر على الطبيعة التكنولوجية لاشتغال الوسيط، بخلاف مصطلح رقمي.وتطلق مصطلحات (الأدب الإلكتروني) أو (الكتاب الإلكتروني) اليومَ على الكتب الورقية المرقمنة، وهي مؤلفات لا تدخل ضمن فئة الأعمال الأدبية الرقمية>>28 هناك أيضا مصطلح (الأدب المعلوماتي) و<<يستخدم للتأكيد على خصوصية الوسيط>>.29

وبناءاً على ما سبق يمكن القول أنّ منْ إفرازات التأثير المتبادل بين العصر الرقمي والإبداع الأدبي استقرار هذا الأخير على أرض <<تكنولوجيا الاتّصال وما تفرضه على تقنيات الإبداع من ضروب التجديد والتطوير التي تحتّم تخطي حواجز الأشكال المأثورة استجابة لهذه الثورة التكنولوجية التاركة آثارها على آليات الإبداع وعلى تقنيات الدراسة الأدبية والنقدية>>30 وعليه بات الأدب التفاعلي الرقمي <<مجالا معرفيا جديدا يمثل صورة العصر بكل وصولها الحضاري، وبه دخل الأدب العربي مرحلة ريادية جديدة بحلّة جنس أدبي جديد، يكون الحاسوب ضرورة لازمة فيه لتفعيل شاعريته وتفاعل متلقيه، وليؤكّد أنّ الجمال ليس حكرا على الكلمة المكتوبة أو المقروءة فقط، فقد لا يتجاوز فضل الكلمة سائر وسائل الإدراك الإنسانية الأخرى، فالصورة والتثقيف بنظام ومكونات الصورة، والصوت المصاحب للشعر أو الموسيقى، قد شكلا عناصر لها كبير الأثر في هذا الأدب الجديد، فهي قصائد أخرى تتفاعل موسيقاها مع اللا شعور حين نقرأ القصيدة التفاعلية، وكلها تهدف إلى إحداث نقلة في النظام المعرفي>>31

وعن آراء الدارسين في مسألة فوضى المصطلح يفضّل "أمجد حميد" <<الاكتفاء بتسمية (الأدب التفاعلي) دون الحاجة لتقييده ب (الرقمي) لأنّ رسوخ السمة التفاعلية - بحسب اعتقاده - كفيل أن يدلّ على (رقميته) دون (ورقيته) وإن هذا أدعى عنده لقرارة المصطلح وذيوعه>>32 أمّا "بهيجة مصري أدلبي" فترى أنّ <<مصطلح (الإبداع التفاعلي) هو الأقرب حتى الآن إلى طبيعة هذا الإبداع، وما يطرحه من حالات مختلفة على الكائن وما يتركه من تغيرات في النص الإبداعي، لأنّ التفاعل أشمل من التوصيفات الأخرى، مهما كان لها صلة بإبداع هذا الشكل من الإبداع>>33

غير أنّ "عبد الله بن أحمد الفيفي" يرى أنّ <<طبيعة هذا النّص تدعوه إلى استبدال كلمة الكترونية ب (رقمية) أجدى فمصطلح (رقمية) عنده ملبس ومشوش في دلالته على مفردة قد استقرت قديما متعلقة بالرقم (العدد)، فهو يسميها (القصيدة الإلكترونية التفاعلية) بدلا عن (القصيدة الرقمية التفاعلية) لأنّه يرى أنّ كلمة (الكترونية) ضرورية لإشارتها إلى التقنية الوسيطة التي من دونها لا قيام لهذا النّص بدليل استخدامنا اليوم (الصحيفة الإلكترونية)، (الموقع الإلكتروني)، (النشر الإلكتروني)، ويضيف قائلا أنّه لا يرى أنّ صفة (الإلكترونية) مغنية بأي حال من الأحوال عن صفة التفاعلية فهما صفتان متلازمتان>>34

في حين يميل "مشتاق عباس" في <<تباريحه إلى جعل التفاعلية ملازمة للرقمية وليس للإلكترونية حين جعل تباريحه توصف بالرقمية>>35 و<<لدى استعمال نعت (الرقمي) في مفهوم (الأدب الرقمي) يتم التشديد على خاصية بنيوية واحدة، وبذلك يتم تحديد هذا المجال الأدبي انطلاقا من مصطلح خاص بالتقنية المستخدمة كما هو الحال غالبا في الأسماء الفنية (الرسم، التصوير...) >>36

يعتقد "إياد إبراهيم فليّح الباوي" و "حافظ محمد عباس الشمري" أنّ <<مصطلح (الأدب التفاعلي الرقمي) [...] هو الأقرب والأدقّ في الدلالة على هذا الجنس الأدبي، [ويعلّلان ذلك بالقول] لما في لفظة (التفاعلي) من تعبير واضح عن تفاعل المتلقي مع هذا النوع من الأدب المعتمد على التقنيات الإلكترونية، إذ يتوحد المتلقي مع جوّه بأدوات التخييل الرئيسة البصر والسمع والحرف، فضلا عن قدرة المتلقي على التدخل في تفعيل قنوات التفاعل مع النّص من حيث التعديل

المنارة للاستشارات www.manaraa.com

البرمجي والتصميمي في نصوص كثيرة.أمّا لفظة (الرقمي) فهي تستكمل الدلالة في اللفظة الأولى للتعبير عن هذا الجنس كون الحاسوب في حقيقة الأمر يستخدم نظام العد الثنائي الرقمي في البرمجة وإبداع النصوص الرقمية، إذ تستحيل المدخلات الحسية في ضوء هذا النظام إلى أرقام يعاد بثّها من خلال الشاشة على نفس هيأة الإدخال>>37 ولمتسائل أن يقول:

- هل بميلاد جنس أدبي جديد إعلانٌ عنْ موتِ الأدب الورقي؟
- وهل مصطلح الأدب التفاعلي يحقّق الكفاية الدّلاليّة والإجرائيّة؟.

ولأنّ الأدب التفاعلي ما كان ليتأتّى دون النص المترابط فهذا يستدعي التّعرّض لِمصطلح (Hypertext)، هذا الأخير الّذي تعدّدت مُقابلاته العربيّة ومنْ ثمّ كان <<الاختلاف في نقل المصطلح (Hypertext) إلى الفضاء النقدي العربي إلا بداية جديدة لأزمة مصطلحية تعصف بكتاباتنا النقدية لردح من الزمن أو [لِنَقُلْ] فوضى مصطلحية تضاف إلى ركام الفوضى التي خلّفها الاشتغال على الحداثة و ما بعدها>>38

وتوخياً للدقة وحتى يستطيع القارئ تبيّن تلك الفوضى الاصطلاحية في الثقافة العربية في ترجمة مصطلح Hypertext، يُجمل الباحث الجزائري "عمر زرفاوي" المُقابلات العربيّة في جدول توضيحي هو كالآتي:39

المستعمل للمصطلح المقابل	المصطلح المقابل للمصطلح في أصل وضعه	المرجع الذي ورد فيه (كتاب أو مقال أو موقع)
حسام الخطيب	النص المفرّع	-(الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المفرّع). -(آفاق الإبداع ومرجعيّته في عصر المعلوماتية).
نبيل علي	النّص الفائق	-(العرب وعصر المعلومات). -(الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي).
يحي صالح بوتردين	النّص الفائق	-(تحليل الخطاب الفائق، من الشفهية إلى التواصل الإلكتروني).
علي حرب	النّص الفائق	-(حديث النهايات، فتوحات العولمة ومآزق الهوية). -(العالم ومأزقه، لغة الصّدام ومنطق التّداول).
عز الدّين إسماعيل	النص الإلكتروني الشامل	-(العولمة وأزمة المصطلح).
عزّ الدين إسماعيل	النص التشعبي الإلكتروني	-ترجمة لمقال (أندراس كبانيوس).
سعد البازعي وميجان الرويلي	النص المتعالق	-(دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من سبعين مصطلحاً وتيّاراً نقديا معاصراً).
جابر عصفور	النص المتعالق	-(التّعلّق/التّعالق النّصي).
نريمان إسماعيل متولّي	النص التكويني	-(النص التكويني (الهايبرتكست) وتنمية الابتكار لدى الطلاب والباحثين).

المنارة للاستشارات www.manaraa.com

حنّا جريس	الهايبرتكست	-(الهايبرتكست، عصر الكلمة الإلكترونية).
أوديت مارون بدران وليلى فرحان	النص المترابط (الهايبرتكس)	-(النص المترابط (الهايبرتكس)، ماهيته وتطبيقاته).
سعيد يقطين	النص المترابط	-(من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي).
عبير سلامة	النص المتشعب	-(النص المتشعب ومستقبل الرواية).
عز الدّين المناصرة	النص المتشعّب النص العنكبوتي	-(علم التناص المقارن، نحو منهج عنكبوتي تفاعلي).
محمد سناجلة	النص المرجعي الفائق	-(رواية الواقعية الرقمية).
محمد أسليم	النص التشعبي التخييلي	-(موقع محمد أسليم).
محمد سعيد	النص المُمنهل	-(الإنترنت: المنافع والمحاذير).
عبد السلام بنعبد العالي	النص الأعظم	-(ثقافة الكتاب وثقافة الشاشة).
أحمد أنور بدر	نص كبير	-(المدخل إلى علم المعلومات والمكتبات).

وعن التّرجمة المختارة يُفضّل الباحث "عمر زرفاوي" ترجمة "سعيد يقطين" (النص المترابط) ويعلّل ذلك بالقول: <<لدقتها العلمية، فألمعية "سعيد يقطين" لا تنكر، خاصة وقد شهد له بها مفكّر كبير ك"جابر عصفور">>40 ويقول "سعيد يقطين": <<أمّا (النص المترابط) فأستعمله كمقابل ل Hyper- text، وهو النص الذي نجم عن استخدام الحاسوب وبرمجياته المتطوّرة والتي تمكّن من إنتاج (النص) وتلقيه بحيث تبنى على (الربط) بين بُنى النص الداخلية والخارجية>>41 ويخلصُ الباحث "عمر زرفاوي" إلى مفهوم جامع مانع للنص المترابط حيث يقول: <<برنامج إلكتروني ونظام للربط بين الوثائق والنصوص بشكل آلي>>42

أمّا رائد الحاسب الآلي "ثيودور هولم نيلسون" فيعني به <<كتابة غير تتابعية - نصا يتشعب ويعطي القارئ خيارا وخير مكان لقراءته هو شاشة تفاعلية.وكما هو مألوف لدى العامة، فإنه سلسلة من الكتل النصية تربطها حلقات وصل من شأنها أن تمنح القارئ مسارات مختلفة>>43

تتعدّد المصطلحات للمفهوم الواحد <<النص المفرّع، النّص الفائق، النص الإلكتروني الشامل، النص التشعبي الإلكتروني، النص المتعالق، النص التكويني، الهيبرتكست، النص الأعظم، النص المتشعب، النص العنكبوتي، النص المرجعي الفائق، النص التشعبي التخييلي، النص المُمنهل، النص المترابط>>44 وكلّ هذه المصطلحات تشير إلى مفهوم واحد يتجلّى في <<توليفة من النص اللغوي الطبيعي مع قدرات الحاسب للتشعيب التفاعلي أو العرض الديناميكي...فهو نص غير خطي – non linear لا يمكن طباعته بسهولة...على الصفحة التقليدية>>45

وما يمكن أنْ نخلص إليه هو أنّ الحديث عن <<النص المترابط لا يستقيم دون مقارنته بالنص المطبوع، فبالأضداد تتباين الأشياء، ولأن نفي الخطيّة هي جوهر التنظير لطبيعة النص المترابط فإن عدم اتّكاء نص ما على التّشعب يقصيه تلقائيا عن مفهوم النص الجديد، فهذا الأخير هو ما يتيح للقارئ وسائل علميّة عديدة لتتبع مسارات العلاقات الداخليّة بين ألفاظ النص وجمله، وفقراته، ويخلّصه من قيود خطيّة النص حيث يمكنُ من التّفرّع من أيّ موضع داخله إلى أيّ موضع لاحق أو سابق>> 46 ومنْ ثمّة أصبح <<نص ما بعد الحداثة الشامل أو الإلكتروني نصا ينداحُ في العالم بأسره، ويخترق الحدود والحواجز، حتّى لِيصبح عالم النص هو نص العالم>>.47

المنارة للاستشارات www.manaraa.com

3. المتلقي من المفعولية إلى الفاعلية:

إنّ تداخل الفعل الأدبي بالمعطى التكنولوجي قد أفرز مفاهيم مُغايرة للقارئ الحالي أو القارئ الحاضر، مفاهيم جديدة فرضتها الوسائط التفاعليّة التكنولوجية والتقنيّات الحاسوبيّة.

إنّ <<التحوّل في تكنولوجيا المعرفة ليس مجرّد تحوّل من تقنية إلى أخرى بل يعني التّحول إلى عقل آخر>>48 وبالتّالي بات على القارئ أن <<يستفيد من مقرّرات العصر ليدخل منعطفا جديدا في التّلقي وتتم زحزحة ولو قليلا فكرة المتلقي التقليدي، وتتجاوز الفكرة السائدة بأن المتلقي هو القارئ فقط، وإذا كان هذا المفهوم مناسبا لعصر القراءة فإنّه لا يتناسبُ تماما مع عصر مغاير يعتمد آليات جديدة مفارقة إلى حدّ كبير للآليات القديمة، لذا فإن مجال الكمبيوتر وتطبيقاته وشبكة الإنترنت تخلق متلقيا جديدا تنمي فيه أشكالا جديدة للتلقي خارج نطاق الفكرة السائدة: أنّ التّلقي = القراءة>>49 وبناءاً على ذلك <<أخذ المنظرون يتحدّثون عن قارئ المستقبل الجديد، وعن المواصفات أو الشروط التي ينبغي توافرها فيه، مثل: إجادة التعامل مع الحاسب الإلكتروني، ومعرفة لغته وامتلاك مهارات التّصفح والبحث، والقدرة على الإبحار في الإنترنت، والإلمام ببرامج الحاسب الأساسية، وبمهارات بناء البريد الإلكتروني، وامتلاك عقلية تحليلية تركيبية تكون قادرة على مجاراة المنطق الرياضي للحاسب>>50

وذلك بالتّوازي مع <<التحول الذي طال المنظومة الإبداعية باقتحام الحاسوب الإبداع الأدبي الذي أعاد تشكيل نظامها العلائقي من تركيبها الثلاثي؛ (كاتب، نص، قارئ) إلى تركيب رباعي، (كاتب، حاسوب، نص، قارئ) >>51 وانسجاماً مع هذا الطّرح يقول "سعيد يقطين" <<كنّا نحدّدُ أطراف ومكوّنات النص في ثلاثة أطراف: 1/الكاتب 2/النص 3/القارئ، أمّا مع النص المترابط فتحدّد الأطراف على النحو الآتي: 1/المبدع 2/النص 3/الحاسوب 4/المتلقي>>52

وبناءاً على ما سبق يمكن القول أنّ <<القارئ التفاعلي عنصر أساس في تحديد مفهوم الأدب التفاعلي [...] ودونه لا يمكن الحديث عن تحقّق ذلك المفهوم، فالأنواع الأدبية الجديدة، كالرواية التفاعلية، والقصيدة التفاعليّة، والمسرح التفاعلي تشترط وجود قارئ تفاعلي باستطاعته الولوج إلى النص المترابط أو النص الشبكي لتفكيكه وتقطيع متنه لإعادة تركيبه بحسب أغراض القارئ>>53.

4. الأدب التفاعلي وإشكاليّة التلقي في الثّقافة العربيّة:

تتجلّى علاقة الثقافة العربية بهذا الجنس الأدبي الجديد، بدءاً بظاهرة الفوضى الاصطلاحية في الثقافة العربية (التّعدد المصطلحي)، مُقابل مفهوم واحدٍ في الثقافة الغربية (المَنْشأ) كما سبق وأنْ ذكرنا، وانتهاءاً بتوهم بعض المشتغلين في ثقافتنا العربية ريادة أجناس أدبية جديدة يرجع أصلها إلى الثقافة الغربية أو بتعبير الباحث "عمر زرفاوي" <<مدماكها في واقع الأمر التقانة الغربية الناعمة>>54

إنّ <<ريادة الأدب التفاعلي أو الإبداع الرقمي لن تكون بين لحظة وضحاها، ولا يعني استعمال تقنية الربط LINKS المستخدمة في بناء صفحات الويب Web أن الروائي الأردني ["محمد سناجلة"] قد سبق الغربيين إلى ريادة هذا الإبداع الجديد، إنّ الإبداع التفاعلي ثمرة لتحوّل مفهوم النص المفتوح من إطاره التجريدي النظري إلى مرحلة التجسيد والتطبيق>>55 وهو ما أكّده "محمد أسليم" بقوله: <<لم يتم حتّى الآن ولوج العرب عالم الإبداع التفاعلي كما لم تكتب ولو رواية عربية ضمن الجنس الأدبي الموسوم ب (النص التّشعبي التخييلي)، وهو جنس أدبي استحدثه مبدعون روائيون في الولايات المتحدة الأمريكية مباشرة بعد صياغة "تيد نيلسون" لمفهوم (النص المتشعب)، أوّلهم "ميشيل جويس"

المنارة للاستشارات www.manaraa.com

بروايته (الظهيرة، قصة after noon stry التي صارت من كلاسيكيات هذا الجنس الروائي>>56 ممّا يعني أنّ الغرب سبّاقٌ إلى إبداع هذا الجنس الأدبي الجديد.

وبالتّالي فإنّ عبارة <<"أحمد فضل شبلول" ("محمد سناجلة" وميلاد أدب عربي جديد) لاتختلف عن عبارات عدّة تردّدت منذ سنين عن ميلاد (نظرية نقدية عربية) و(نحو خطاب لساني نقدي عربي أصيل) >> 57 عبارات يقول عنها "صلاح فضل" إنّها <<مغرية ومثيرة للأشواق، ومن يعترض عليها يضع نفسه في صفّ أعداء العروبة وأحلامها المستقبلية، إذ توشكُ أن تصبح شعاراً فكرياً طموحاً لا ينبغي لأحد أن يطعن فيه، وهو شعار يستقطب عواطفنا، لكنّه لا يقوى على مجابهة التّحليل العقلي السليم>>58 ولذلك يجب ألّا نُصدِّق الأوهام وألّا نَنْساقَ وراءها.

يقول "سعيد يقطين" <<لقد دخلت الدراسات الأدبية مرحلة جديدة من البحث وتولّدت مصطلحات ومفاهيم جديدة، لكنّنا لا نزال بمنأى عن التفاعل معها أو استيعاب الخلفيات التي تحدّدها.ظهرت مفاهيم تتصل بالنص المترابط، والتفاعلية، والفضاء الشبكي، والواقع الافتراضي، والأدب التفاعلي، ونحن مازلنا أسيري مفاهيم تتصل بالنص الشفوي أو الكتابي، و لم نَرْقَ بعد إلى مستوى التعامل مع النص الإلكتروني>>59

وعليه نخلص إلى القول أنّ الاضطراب يبدو جليّاً في تلقّينا مفاهيم الثقافة الوافدة إلينا منَ الآخر بدءاً بمسألة التّعدد المصطلحي وانتهاءاً بما أسماه الباحث "عمر زرفاوي" وهم الريادة، وهو ما أفْضَى إلى إشكاليّة تَلَقّي في ثقافتنا العربيّة لِهذا الجنس الأدبي الجديد.

الإحالات:

1) نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عَالم المعرفة، العدد 265، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت-، يناير 2001، ص14.
2) المرجع نفسه، ص14.
3) محمد صلاح سالم: العصر الرقمى...وثورة المعلومات دراسة فى نظم المعلومات وتحديث المجتمع، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2002م، ص ص14/13.
4) إياد إبراهيم فليّح الباوي - حافظ محمد عباس الشمري: الأدب التفاعلي الرقمي الولادة وتغيّر الوسيط، دار الكتب والوثائق، بغداد، ط1، 2011م، ص18.
5) علي حرب: أزمنة الحداثة الفائقة الإصلاح- الإرهاب- الشراكة، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء-المغرب/بيروت-لبنان، ط1، 2005، ص199.
6) محمد صلاح سالم: العصر الرقمى...وثورة المعلومات دراسة فى نظم المعلومات وتحديث المجتمع، ص11.
7) المرجع نفسه، ص14.
8) عمر زرفاوي: الكتابَةُ الزَّرقَاء مدخل إلى الأدب التفاعلي، دائرة الثقافة والإعلام حكومة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، أكتوبر 2013م، ص193.
9) المرجع نفسه، ص11.
10) المرجع نفسه، ص12.
11) المرجع نفسه، ص193.
12) المرجع نفسه، ص194.
13) إياد إبراهيم فليّح الباوي – حافظ محمد عباس الشمري: الأدب التفاعلي الرقمي الولادة وتغيّر الوسيط، ص ص33/32.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

14) المرجع نفسه، ص ص21/20.
15) المرجع نفسه، ص21.
16) فايزة يخلف: الأدب الإلكتروني وسجالات النقد المعاصر، مجلة المَخبَر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد التاسع، جامعة بسكرة/الجزائر، 2013م، ص ص102/101.
17) المرجع نفسه، ص ص101.
18) فيليب بُوطْزْ: ما الأدب الرقمي؟، ترجمة: محمد أسليم، علامات، 35، ص103.
19) فايزة يخلف: الأدب الإلكتروني وسجالات النقد المعاصر، مجلة المَخبَر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ص102.
20) عمر زرفاوي: الكتابَةُ الزَّرقَاء مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص193.
21) عبد الله إبراهيم: حوار الثقافة والقيم والمجتمعات التقليدية، ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد 5، العدد السابع عشر، 2008/1429، ص130.
22) المرجع نفسه، ص ص131/130.
23) إياد إبراهيم فليّح الباوي – حافظ محمد عباس الشمري: الأدب التفاعلي الرقمي الولادة وتغيّر الوسيط، ص ص19/18.
24) فايزة يخلف: الأدب الإلكتروني وسجالات النقد المعاصر، مجلة المَخبَر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ص103.
25) فيليب بُوطْزْ: ما الأدب الرقمي؟، ترجمة: محمد أسليم، علامات، ص 108.
26) المرجع نفسه، ص108.
27) المرجع نفسه، ص108.
28) المرجع نفسه، ص 109/108.
29) المرجع نفسه، ص109.
30) عمر زرفاوي: الكتابَةُ الزَّرقَاء مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص187.
31) إياد إبراهيم فليّح الباوي – حافظ محمد عباس الشمري: الأدب التفاعلي الرقمي الولادة وتغيّر الوسيط ، ص55.
32) المرجع نفسه، ص34.
33) المرجع نفسه، ص34.
34) المرجع نفسه، ص ص35/34.
35) المرجع نفسه، ص35.
36) فيليب بُوطْزْ: ما الأدب الرقمي؟، ترجمة: محمد أسليم، علامات، ص108.
37) إياد إبراهيم فليّح الباوي – حافظ محمد عباس الشمري: الأدب التفاعلي الرقمي الولادة وتغيّر الوسيط، ص35.
38) عمر زرفاوي: الكتابَةُ الزَّرقَاء مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص208.
39) المرجع نفسه، ص ص216/215/214.
40) المرجع نفسه، ص ص214/213.
41) المرجع نفسه، ص 209.
42) المرجع نفسه، ص 14.
43) ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب/بيروت لبنان،ط3، 2002، ص269.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

44) عمر زرفاوي: السيبرنطيقا والنص المترابط قراءة في التحوّلات المعرفيّة، مجلة قراءات،عدد 2011، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، ص254.

45) ناريمان اسماعيل متولي: تكنولوجيا النص التكويني (الهيبرتكست) وتنمية الابتكار لدى الطلاب والباحثين، عدد خاص من مجلة كلية التربية(بحوث) مؤتمر تربية الغد، جامعة الامارات، 1996م، ص359.

46) عمر زرفاوي: السيبرنطيقا والنص المترابط قراءة في التحوّلات المعرفيّة، مجلة قراءات، ص255.

47) المرجع نفسه، ص251.

48) عمر زرفاوي: العصر الرقمي وثورة الوسيط الإلكتروني قراءة في تحوّلات أطراف المنظومة الإبداعية، مجلة المخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، العدد الأول، جامعة بسكرة، 2009، ص118.

49) المرجع نفسه، ص120.

50) المرجع نفسه، ص121/120.

51) عمر زرفاوي: الكتابَةُ الزَّرقَاء مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 13.

52) عمر زرفاوي: الأدب التفاعلي واتجاهات ما بعد البنيوية، مجلة ثقافات، كلية الآداب بجامعة البحرين، 2011، ص 185.

53) عمر زرفاوي: العصر الرقمي وثورة الوسيط الإلكتروني قراءة في تحوّلات أطراف المنظومة الإبداعية، ص121.

54) عمر زرفاوي: الكتابَةُ الزَّرقَاء مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 244.

55) المرجع نفسه، ص ص221/220.

56) المرجع نفسه، ص222.

57) المرجع نفسه، ص223.

58) المرجع نفسه، ص223.

59) المرجع نفسه، ص ص232/231.

المنارة للاستشارات www.manaraa.com